قوائم المحتويات متاحة على المجلات الاكاديمية العراقية
مجلة البحوث والدراسات الاسلامية
الصفحة الرئيسية للمجلة: https://djisrs.dws.gov.iq

الحتم والحرية في استشراف المستقبل
دراسة تأصيلية في ضوء النصوص الشرعية
Determinism and freedom in anticipating the future, a fundamental study in the texts legitimacy.

أ.م.د. عطا الله مدب حمادي الزوبعي*

Abstract

Islamic law has predicted for people to anticipate the future, including what is related to future news that is inevitable to happen, and what is related to planning for the future and working in accordance with universal and legal laws. As for inevitable events, Islamic law has targeted the future of people with two types of unseen news that is inevitable to happen, the first type, in which I have alluded are the glad tidings of the Muslims' victory and the emergence of Islam throughout the earth, and the second type is about the temptations and tribulations that Muslims will be exposed to in their future. Islamic law has commanded patience in the face of calamity in the days of temptations and intensifying tribulations, so its goal in doing so was to alert the servants to the dangers of temptations and tribulations, warning them of them, and being patient with their afflictions and not surrendering to them. The hadiths about the occurrence of temptations are understood in light of the hadiths about adherence to religion, patience in the face of affliction, and the virtue of worship in the face of temptations. This is also evidence of prophecy that increases the faith of the servants. As for other than inevitable events, there is freedom and choice. The human will that God Almighty granted to His servants is broad in exercising reason, activating thought, and planning for the future in a way that guarantees security, construction, production, development, and all matters related to the interests and care of His servants. In return, Islamic law combats all forms of quackery, sorcery, and divination practiced by priests and those who practice astrology, magic, and horoscopes, and forbids that strictly.

Keywords:

Foresight - the future - planning – Sharia - Islamic

* Corresponding author at **Dr. Atallah Madb Hammadi**
tallhalhmysan@gmail.com

معلومات المقال

تاريخ المقال

الإرسال:٢٠٢٦/٢/١٠

المراجعة:٢٠٢٦/٢/١٥

القبول:٢٠٢٦/٢/٢٥

الكلمات المفتاحية:

الاستشراف- المستقبل- التخطيط- الشريعة- الإسلامية.

ملخص

لقد فتحت الشريعة الإسلامية للناس نوافذ محددة يطلون من خلالها لاستشراف المستقبل، منها ما يتعلق بالأخبار المستقبلية حتمية الوقوع، ومنها ما يتعلق بالتخطيط المستقبلي وفق السنن الكونية والشرعية، أما ما يتعلق بالحوادث الحتمية، فقد استهدفت الشريعة الإسلامية مستقبل العباد بنوعين من الأخبار الغيبية حتمية الوقوع، النوع الأول تحدثت فيه عن بشارات انتصار المسلمين وظهور الإسلام في أنحاء الأرض، والنوع الثاني تحدثت فيه عن الفتن والمحن التي يتعرض لها المسلمون في مستقبلهم، وقد أمرت الشريعة الإسلامية، بالصبر على البلاء في أيام الفتن واشتداد المحن، فكان هدفها من ذلك هو تنبيه العباد على موارد الفتن والمحن، وتحذيرهم منها، والصبر على بلائها، وعدم الاستسلام لها، فأحاديث وقوع الفتن تفهم في ظل أحاديث التمسك بالدين والصبر على البلاء وفضل العبادة في الفتن، وفيها أيضا من دلائل النبوة ما يزيد من إيمان العباد، وأما فيما عدا الحوادث الحتمية فإن مساحة الحرية والاختيار والإرادة الإنسانية التي منحها الله تعالى للعباد واسعة، وذلك من خلال إعمال العقل، وتفعيل الفكر، والتخطيط للمستقبل بما يحقق الأمن والبناء والإنتاج والتنمية، وجميع الأمور التي تتعلق بمصالح العباد، وفي مقابل ذلك حذرت الشريعة الإسلامية من كل أشكال الدجل والشعوذة والرجم بالغيب التي يمارسها الكهنة وأصحاب التنجيم والسحر، وحرمت ذلك تحريما شديدا.

١. المقدِّمة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وآله وأصحابه ومن اهتدى بهديه واتبع سنته إلى يوم الدين أما بعد.

إنَّ حوادث المستقبل في عقيدة المسلمين منها ما هو حتمي الوقوع، كوقوع مشاهد يوم القيامة من البعث والنشور والعرض والحساب والميزان والصحف والصراط والجنة والنار، كما قال تعالى في ذِكر الصراط: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: ٧١]، وكذلك وقوع الحوادث المستقبلية الحتمية في الحياة الدنيا، كالعلامات الكبرى والصغرى ليوم القيامة، والأحاديث التي تخبر عن وقوع حوادث في المستقبل، كأحاديث الفتن والبلاء، والأحاديث التي فيها بشارة بانتصار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

إنَّ هذه النصوص الشرعية حتمية الوقوع، وخاصة الأحاديث التي تبين الشدائد والفتن في المستقبل، ليس فيها ما يقتضي الاستسلام لمجرياتها والخضوع لها، كالفتن التي تبين انتشار القتل وشيوع الفساد وتداعي الأمم على هذه الأمة، بل إن هذه الأحاديث جاءت لتنبيه الناس، والتحذير من الانجراف في تلك الفتن، وأوجبت العمل على مقاومتها اذا وقعت في المستقبل، لذلك جاءت أحاديث أخرى فيها تعظيم لأجر وثواب من يصبر على تلك المحن والفتن والابتلاءات، وأحاديث فضائل العبادة في أيام المحن، بل حتى فتنة الدجال مع شدتها، وعدم إمكان الناس من مقاتلة الدجال، فقد أمر رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بعدم طاعته، والصبر على فتنته، وبين أنَّ من أعظم الشهداء رجل يثبت على دينه فيقتله الدجال.

إذن الأخبار التي تتحدث عن الحوادث المستقبلية حتمية الحدوث التي جاءت بها الشريعة الإسلامية، لها حكمة عظيمة، ومقصد شرعي مهم من مقاصد الشريعة، فهي بمثابة إنذار مبكر للعباد، وإعلامهم بتلك المخاطر والفتن، ليستعدوا لها، ويتجنبوا الخوض فيها، ويصبروا على أذاها، ويعملوا على مقاومتها في كل زمان، وليس فيها ما يقتضي الاستسلام لها، فأحاديث الفتن والبلاء حتمية الوقوع، تفهم في ظل الأحاديث التي تأمر بالصبر على البلاء وتجنب الفتن والثبات على العهد في حمل أمانة الدين، وهذا يعني أنها جاءت لتأمين مستقبل العباد من الانحراف، وحفظهم من الضلال، فضلا عن كونها إعجازا إلهيا، ودليلا من دلائل النبوة التي تسهم في تجديد إيمان العباد.

وأما فيما عدا الحوادث المستقبلية الحتمية، فإنَّ مساحة الحرية والاختيار والإرادة الإنسانية التي منحها الله تعالى للعباد واسعة، وذلك من خلال إعمال العقل، وتفعيل الفكر، والتخطيط للمستقبل بما يحقق

الأمن والبناء والإنتاج والتنمية، والمحافظة على البيئة وصيانة ثرواتها، وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بمصالح العباد ورعايتهم، وفي مقابل ذلك حاربت الشريعة الإسلامية كل أشكال الدجل والشعوذة والرجم بالغيب التي يمارسها الكهنة وأصحاب التنجيم والسحر، وحرمت ذلك حرمة مشددة.

وقد ظهر استشراف المستقبل، أو الدراسات المستقبلية، أو علم المستقبل، بشكل منهجي بعد الحرب العالمية الثانية في بلاد الغرب، وفي الاتحاد السوفيتي، ولكن الملاحظ عن بعض المشتغلين بعلم المستقبليات في الغرب أنهم جعلوا الخيال العلمي والتنبؤات الفردية وعلم ما وراء النفس (الباراسايكلوجي) جزءا من علم المستقبليات، فخلطوا ما هو فني بما هو علمي، وما هو مسموح به شرعا بالتخطيط له، بغيره، فكانت النتيجة أن اختلط الأمر على بعض المتلقين من بلادنا، فربما حكم بعض الناس على استشراف المستقبل بحكم سلبي من هذا المنطلق، وهذه مشكلة حقيقية لهذا العلم، وهذا البحث هو محاولة لإزالة هذا الإشكال من خلال التأصيل الشرعي للموضوع.

إنَّ أكثر شيء يتمسك به المتحمسون لمسألة علمية الإدراك الحسي الفائق مثلا، هو إخضاع تلك الظاهرة الإنسانية للتجارب الإحصائية، فتمسكوا بمشروعيتها العلمية من هذا الجانب، لكن في الحقيقة لم يحصل أي تقدم لحد الآن في معرفة أسباب الظاهرة، وكيفية حدوثها، كما هو الحال في الظواهر الطبيعية، وهذه مسألة حاسمة في إخراجها عن دائرة البحث العلمي، وفي ضآلة تأثيرها في الحياة، وهذا ما حصل بالفعل في الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي، حيث تلاشت دراسات هذه الظاهرة ومثيلاتها شيئا فشيئا أمام التخطيط العلمي للصناعات المدنية والعسكرية والتنموية في بلدان العالم.

أما استشراف المستقبل أو الدراسات المستقبلية العربية في المجال الشرعي، فهي لا زالت في بداياتها، ومن تلك الدراسات السابقة لهذا البحث هو مؤتمر ندوة الحديث الشريف الدولية الخامسة في كلية الدراسات العربية والإسلامية بدبي، الذي حمل عنوان: الاستشراف والتخطيط المستقبلي في السنة النبوية.

وفي هذا البحث سوف أتناول النوافذ التي منحتها الشريعة الإسلامية والتي سمحت بها لاستشراف المستقبل، وذلك وفق المنهج الاستقرائي، وسيكون الكلام في هذا الموضوع وفق المباحث التالية: المبحث الأول: استشراف المستقبل بأخبار الغيب الحتمية، المبحث الثاني: استشراف المستقبل بالرؤيا الحسنة، المبحث الثالث: استشراف المستقبل بالتخطيط العلمي، المبحث الرابع: حرمة الكذب في استشراف المستقبل، والله ولي التوفيق.

٢.المبحث الأول: استشراف المستقبل بأخبار الغيب.

لقد استهدفت الشريعة الإسلامية مستقبل العباد بنوعين من الأخبار الغيبية حتمية الوقوع، النوع الأول تحدثت الأخبار فيه عن بشارات انتصار المسلمين وظهور الإسلام في مشارق الأرض ومغاربها، ودخول الأمم والشعوب في دين الله تعالى، والنوع الثاني تحدثت الأخبار فيه عن الفتن والمحن وأنواع البلاء التي يتعرض لها المسلمون في مستقبلهم، وقد أمرت الشريعة بالصبر على البلاء في أيام الفتن واشتداد المحن، وكان للشريعة الإسلامية في ذكر الأخبار التي تحكي لنا عن وقوع الحوادث المستقبلية جملة من الأهداف التي تريد تحقيقها، منها تجديد إيمان الناس، ومنها ارشاد العباد إلى معرفة الحق في غبش الفتن، وتحذيرهم من الخوض في تلك الفتن، والاستعداد لتحمل البلاء، والصبر عليه، وغير ذلك، وسأتناول بعضا من هذه الأهداف في النقاط التالية:

أولا: تجديد الإيمان وترسيخ اليقين.

مثلما اهتمت الشريعة الإسلامية بقضية الإيمان، فقد اهتمت كذلك بالمحافظة على الإيمان، وتجديد أسبابه مع الزمن، وصيانة المؤمنين من الانحراف نحو الغواية والضلال، وخاصة وإنَّ أسباب الغواية كثيرة، وهي تحيط بالإنسان من كل جانب، كحب الدنيا، ومكايد شياطين الإنس والجن، والنفس الأمارة بالسوء، وغير ذلك، لذلك فإن الشريعة الإسلامية اعتنت بمستقبل العباد كعنايتها بحاضرهم، لكي يختم للعبد بحسن الخاتمة، فالأعمال بخواتيمها، وكم من مسلم ختم له بسوء حيث سقط في حبال الفتن، أو ضعف إيمانه عن مواجهة مغريات الحياة الدنيا، لذلك كانت قضية تجديد أسباب الإيمان من القضايا المهمة التي ركزت عليها النصوص الشرعية، فكانت هناك بعض الحوادث المستقبلية التي أخبر عنها القرآن الكريم والسنة النبوية، جاءت لتقوية الإيمان، وترسيخ اليقين، والربط على القلوب، وتثبيت الأقدام على السراط، وتعزيز الثقة بالله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن تلك الأخبار قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [الروم: ١-٤]، فالآيات هنا فيها بشارة للمؤمنين بنصر الروم، وهم أهل كتاب، على الفرس وكانوا على المجوسية، ولا شك أنَّ أهل الكتاب أقرب إلى المسلمين من أهل النحل والملل الأخرى، قال يحيى بن سلام: (وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُعْجِبُهُمْ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ لأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ، وَكَانَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ يُعْجِبُهُمْ أَنْ تَظْهَرَ الْمَجُوسُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ)[١]، ولما أوشكت المدة على الانتهاء تحقق

(١) تفسير يحيى بن سلام، يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة البصري، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى:

وعد الله سبحانه وتعالى، وظهرت الروم على الفرس كما جاء في خبر القرآن الكريم.

ولا شك أنَّ مثل هذه القضية، يعني الإخبار عن حادثة بهذا المستوى من الحجم، والتنبؤ بحصولها بطريقة الجزم، هو إعجاز إلهي كبير، وهذا الإعجاز له أثر كبير في تقوية إيمان المؤمنين، وتثبيتهم على الدين، وإظهار الحق بالبراهين والحجج الظاهرة، ولا يدع أي مجال للشك والريب في نفوس المسلمين.

ومثل الآيات السابقة قوله تعالى: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]، فقد وعد الله تعالى رسوله الكريم محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالنصر، وفتح مكة، وأداء مناسك العمرة، فلما كان عام الحديبية وتم الصلح برجوع المسلمين في ذلك العام دون دخول مكة، اعترض بعض المسلمين على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، مع ذكر بعض المناسك، وهو الحلق أو التقصير، ليعطي سبحانه وتعالى للخبر تأكيدا قويا، أي ستدخلون مكة وتأدون مناسككم في أمان دون خوف من المشركين، وقد تحقق ذلك في عمرة القضاء، وللمسلم أنْ يلحظ أهمية استشراف المستقبل بأخبار الغيب الحتمية، وأثرها في ترسيخ الإيمان من خلال اعتراض المسلمين واستفسارهم حين تأخر قليلا وقوع الحادثة.

ومن أخبار السنة النبوية ما أخرجه البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَاهُ رَجُلٌ فَشَكَا إِلَيْهِ الفَاقَةَ، ثُمَّ أَتَاهُ آخَرُ فَشَكَا إِلَيْهِ قَطْعَ السَّبِيلِ، فَقَالَ: ((يَا عَدِيُّ، هَلْ رَأَيْتَ الحِيرَةَ؟» قُلْتُ: لَمْ أَرَهَا، وَقَدْ أُنْبِئْتُ عَنْهَا، قَالَ «فَإِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ، – قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ –، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ لَتُفْتَحَنَّ كُنُوزُ كِسْرَى، قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟ قَالَ: " كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَلَئِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ، لَتَرَيَنَّ الرَّجُلَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ، يَطْلُبُ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ فَلاَ يَجِدُ أَحَدًا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، ... الحديث»، قَالَ عَدِيٌّ: فَرَأَيْتُ الظَّعِينَةَ تَرْتَحِلُ مِنَ الحِيرَةِ حَتَّى تَطُوفَ بِالكَعْبَةِ لاَ تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَكُنْتُ فِيمَنِ افْتَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ وَلَئِنْ طَالَتْ بِكُمْ حَيَاةٌ، لَتَرَوُنَّ مَا قَالَ النَّبِيُّ أَبُو القَاسِمِ: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُخْرِجُ مِلْءَ كَفِّهِ))[1].

٢٠٠هـ)، تقديم وتحقيق: الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤ م، ج ٢، ص ٦٤٣.

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر،

إنَّ هذا الحديث أخرجه البخاري في بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، ولا شك أنَّ أي حديث يصف حصول شيء في المستقبل، ثم يتحقق ذلك الحدث، فهو من علامات النبوة ودلائلها، وهذه العلامات لها تأثير كبير في تجديد الإيمان بالله تعالى ورسوله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وهذا هو الهدف من هذا الحديث وأمثاله، يعني الإخبار عن الحوادث المستقبلية، ليكون تحقق وقوعها برهانا للناس على صدق الرسالة المحمدية، ونلحظ قول الراوي في نفسه: (قُلْتُ فِيمَا بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِي فَأَيْنَ دُعَّارُ طَيِّئٍ الَّذِينَ قَدْ سَعَّرُوا البِلاَدَ)، يعني أنَّ الراوي متعجب من حصول هذا الأمر، كيف يكون ذلك والأرض مملوءة باللصوص وقطاع الطرق؟، وعندما كلمه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن كنوز كسرى، كان استغرابه أشد، فقال عدي بن حاتم: (قُلْتُ: كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ؟)، ففي المرة الأولى كان استغرابه في نفسه وهذه المرة كان استغرابه بقوله: كسرى بن هرمز؟، يعني أعاد الجملة، وهي في مثل هذا المقام للاستغراب؛ لأنَّ دولة كسرى كانت قوية، بل هي امبراطورية كبرى، فكيف يكون ذلك؟، لكن لما حصل وقوع تلك الأخبار، ترك أمر تحققها أثرا طيبا في ترسيخ الإيمان في قلب الصحابي، فهو لا يستغرب حصول الثالثة، وهي كثرة المال، بل كان يبشر بها، فكان أثر هذا الحديث في تجديد إيمان عدي بن حاتم رضي الله عنه واضحا وعميقا، وهذا الحديث هو نموذج من مجموعة أحاديث في هذا الجانب، كحديث فتح الشام وفارس والقسطنطينية وأخبار المهدي وغير ذلك كثير.

وهنا أنبه على مسألة في غاية الأهمية، وهي خطأ من يعتقد أنَّ هدف هذه الآيات والأحاديث هو الاقتصار على تقوية إيمان الصحابة حسب، بل استهدفت هذه النصوص الشرعية مستقبل جميع أبناء الأمة الإسلامية، وآثار ذلك باقية مع الزمن ولجميع الاجيال المتلاحقة إلى يوم القيامة.

ثانيا: معرفة جانب الحق.

يتعدى الهدف من الأخبار الغيبية عن تجديد الإيمان وتقوية اليقين لدى العباد، إلى أمر آخر في غاية الأهمية، وهو بيان جانب الحق عند وقوع الفتن والشدائد، وذلك لأن كثيرا من الناس تختلط عليه الأمور في الفتنة، وتحدث عنده ضبابية في الرؤية، فيصعب عليه تمييز الحق من الباطل، والعدل من الظلم، لذلك استهدفت الشريعة مستقبل الناس عند حدوث تلك الفتن بشيء من الإيضاح والبيان، لتكشف عن ظلمة الفتن وتبين للناس جانب الحق.

ومن السنن في هذا الموضوع ما بينه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من أمر وقوع القتال بين

الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ، كتاب المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ، برقم (٣٥٩٥).

علي ومعاوية، فقد كشفت السنة النبوية عن جانب الحق، وهو مع موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وبينت موقف أهل البغي، وكل ذلك يأتي لحفظ الناس من الفتنة حين وقوعها في الزمن القادم، ولا شك أنَّ الافتتان يكون في جانب البغي والظلم، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ لِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَلِابْنِهِ عَلِيٍّ: ((انْطَلِقَا إِلَى أَبِي سَعِيدٍ فَاسْمَعَا مِنْ حَدِيثِهِ، فَانْطَلَقْنَا فَإِذَا هُوَ فِي حَائِطٍ يُصْلِحُهُ، فَأَخَذَ رِدَاءَهُ فَاحْتَبَى، ثُمَّ أَنْشَأَ يُحَدِّثُنَا حَتَّى أَتَى ذِكْرُ بِنَاءِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: كُنَّا نَحْمِلُ لَبِنَةً لَبِنَةً وَعَمَّارٌ لَبِنَتَيْنِ لَبِنَتَيْنِ، فَرَآهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْهُ، وَيَقُولُ: «وَيْحَ عَمَّارٍ، تَقْتُلُهُ الفِئَةُ البَاغِيَةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الجَنَّةِ، وَيَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ» قَالَ: يَقُولُ عَمَّارٌ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الفِتَنِ))[1]، فكان انحياز عمار إلى معسكر علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو أحد الأدلة على أحقية علي في موقفه، وقد أراد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بهذا الحديث دليلا ظاهرا لمن عميت عليه الأدلة الأخرى على تزكية موقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، ولا نشك أنَّ هدف النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من بيانه لمجريات الأحداث المستقبلية، هو إنارة الطريق للناس حتى يكونوا مع الحق ولا يسقطوا في حبال الفتنة.

ومثل هذا الحديث ما أخرجه مسلم في صحيحه بسنده عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((تَمْرُقُ مَارِقَةٌ عِنْدَ فُرْقَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، يَقْتُلُهَا أَوْلَى الطَّائِفَتَيْنِ بِالْحَقِّ))[2]، فهذا الحديث بين أمرين يتعلقان بهداية العباد وتحذيرهم من الفتن التي تحدث في المستقبل، الأمر الأول: أحقية علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو أولى بالحق من الطائفة الأخرى التي قاتلته، والأمر الثاني: اعتبار فرقة الحرورية فرقة مارقة، فتحقق بهذا الحديث هدفان لضمان مستقبل الناس.

ثالثا: الاستعداد لمواجهة الفتن والصبر على البلاء.

من الأهداف المستقبلية الأخرى التي أرادت النصوص الشرعية تحقيقها من أخبار الغيب، والتي تتعلق بالفتن والشدائد، هي تفويت عنصر المفاجئة بحصول هذه الفتن في حياة الناس، فكانت هذه الأخبار إنذارا مسبقا للناس، ليستعدوا للفتن، ويصبروا على أذاها، ويحتاطوا من شرورها، فالشريعة تريد تحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية، وتريد هدايتهم إلى سبيل الرشاد، قال تعالى: ﴿وَمَا

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب الصلاة، بَابُ التَّعَاوُنِ فِي بِنَاءِ المَسْجِدِ، برقم (٤٤٧)، وكتاب الجهاد والسير، بَابُ مَسْحِ الغُبَارِ عَنِ الرَّأْسِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، برقم (٢٨١٢).

(٢) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، كتاب الزكاة، بَابُ ذِكْرِ الْخَوَارِجِ وَصِفَاتِهِمْ، برقم (١٠٦٤).

﴿كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوۡمَۢا بَعۡدَ إِذۡ هَدَىٰهُمۡ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ ١١٥﴾ [التوبة: ١١٥]، لذلك أنذر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم الناس على حصول تلك الفتن العظيمة، ليكونوا مهيئين لتجاوزها، فإنَّ من كان عنده علم مسبق بحصول هذه الحوادث، سيعظم الإيمان في قلبه، ويرسخ اليقين في صدره، وتزداد ثقته بالله تعالى، فيمنحه ذلك صبرا وعزيمة على مواجهة تلك الفتن، وهذا هو هدف الشريعة من تلك الأخبار.

ومن الفتن المستقبلية العظيمة التي أنذر النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بحصولها، هي فتنة المسيح الدجال، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((مَا بُعِثَ نَبِيٌّ إِلَّا أَنْذَرَ أُمَّتَهُ الأَعْوَرَ الكَذَّابَ، أَلاَ إِنَّهُ أَعْوَرُ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مَكْتُوبٌ كَافِرٌ))[1].

ففي هذا الحديث نجد خطورة فتنة الدجال من خلال تحذير الأنبياء لأممهم من فتنته، ونجد أيضا ذكر أوصاف الدجال، وذلك لكي يسهل التعرف عليه، وعدم الافتتان بما عنده، وما يجري على يديه، وهذا البيان في الحديث فيه فوائد عظيمة في تعريف العباد بمكامن الأخطار، ليتم تجنبها والتحصن من خطرها.

وكما أثمر حديث الظعينة عند عدي بن حاتم قوة إيمان وثبات موقف، كذلك أثمر حديث التحذير من الدجال، رسوخ يقين، وصلابة موقف، وتضحية في سبيل الله تعالى عند المؤمنين، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عن عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ، قَالَ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا حَدِيثًا طَوِيلًا عَنْ الدَّجَّالِ، فَكَانَ فِيمَا يُحَدِّثُنَا بِهِ أَنَّهُ قَالَ: ((يَأْتِي الدَّجَّالُ، وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْهِ أَنْ يَدْخُلَ نِقَابَ المَدِينَةِ، فَيَنْزِلُ بَعْضَ السِّبَاخِ الَّتِي تَلِي المَدِينَةَ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ، وَهُوَ خَيْرُ النَّاسِ – أَوْ مِنْ خِيَارِ النَّاسِ – فَيَقُولُ أَشْهَدُ أَنَّكَ الدَّجَّالُ الَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَدِيثَهُ، فَيَقُولُ الدَّجَّالُ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَذَا، ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، هَلْ تَشُكُّونَ فِي الأَمْرِ؟ فَيَقُولُونَ: لاَ، فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ: وَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي اليَوْمَ، فَيُرِيدُ الدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ فَلاَ يُسَلَّطُ عَلَيْهِ))[2]، فلولا حديث أنس السابق في التحذير من فتنة الدجال، وذكر أوصافه، ما كان يحصل لهذا

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب الفتن، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ، رقم (٧١٣١)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابُ ذِكْرِ الدَّجَّالِ وَصِفَتِهِ وَمَا مَعَهُ، رقم (٢٩٣٣).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب فضائل المدينة، بَابٌ: لاَ يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ، رقم (١٨٨٢)،وكتاب الفتن، بَابٌ:لاَ يَدْخُلُ الدَّجَّالُ المَدِينَةَ، رقم (٧١٣٢)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، ، كتاب الْفِتَنِ وَأَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابٌ فِي صِفَةِ الدَّجَّالِ، وَتَحْرِيمِ الْمَدِينَةِ عَلَيْهِ وَقَتْلِهِ الْمُؤْمِنَ وَإِحْيَائِهِ، رقم (٢٩٣٨).

الرجل من الثبات على الدين، فعلى الرغم من شدة تلك الفتنة، فقد واجه القتل بقوة إيمانه، فمن أين له هذه الثقة العالية والإيمان القوي لولا حديث أنس السابق؟.

وفي هذا السياق أخرج أحمد في مسنده بسنده عَنْ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يُوشِكُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمُ الْأُمَمُ مِنْ كُلِّ أُفُقٍ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ عَلَى قَصْعَتِهَا " قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَمِنْ قِلَّةٍ بِنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: " أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنْ تَكُونُونَ غُثَاءً كَغُثَاءِ السَّيْلِ، تُنْتَزَعُ الْمَهَابَةُ مِنْ قُلُوبِ عَدُوِّكُمْ، وَيَجْعَلُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ ". قَالَ: قُلْنَا: وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: " حُبُّ الْحَيَاةِ وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ))[1].

فالمراد من هذا الحديث الأخير وأمثاله، هو الصبر في مواجهة الفتن، والثبات بوجه تياراتها، وليس الاستسلام لمجريات حوادثها، والسير في ركبها، فإنَّ الأمة قد تمر بحالات ضعف، لكن المهم أنْ لا تنهار، بل يجب أنْ تحاول النهوض من جديد، فلا يمكن لنا أنْ نفهم حديث تداعي الأمم على أمتنا أنَّه الاستسلام التام لسطوة الأمم على هذه الأمة، بحجة حتمية حدوث هذا الأمر، لورود خبره عن طريق الشارع الحكيم، بل يجب أنْ يفهم هذا الحديث في ظل الأسباب والأهداف المقصودة منه، فالأسباب هي عدم التمسك بوحدة الأمة، وضعف الإيمان، والفرقة بين المسلمين، والأهداف هي التنبيه على وجوب التغيير من الحال المتدنية، إلى الأخذ بأسباب قوة الإيمان، فالمقصود إذن من الحديث هو أنْ تستعد الأمة لتلك الأيام، وتصبر على بلائها، وتواجه الانحراف، وتصلح الخلل، بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتستعيد أمرها، وتحيي مجدها، وتجدد دينها، لذلك حثت الشريعة الإسلامية في آيات وأحاديث أخرى كثيرة على الصبر عند البلاء، والثبات في المحن، وعدم الخوض في الفتن، وأجزلت العطاء لأهل الثبات والاستقامة، فقد أخرج الطبراني في الأوسط بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((الْمُتَمَسِّكُ بِسُنَّتِي عِنْدَ فَسَادِ أُمَّتِي لَهُ أَجْرُ شَهِيدٍ))[2]، وأخرج الترمذي في سننه بسنده عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ

(١) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون
إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م، رقم (٢٢٣٩٧).

(٢) المعجم الأوسط، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة، رقم (٥٤١٤).

الصَّابِرُ فِيهِمْ عَلَى دِينِهِ كَالقَابِضِ عَلَى الجَمْرِ))[١]، وهكذا يتبين لنا جملة من الأهداف المستقبلية، التي أرادت الشريعة الإسلامية تحقيقها من ذكر الأخبار الغيبية التي تتحدث عن المستقبل، فقد جاءت هذه الأخبار لتحقيق مصالح العباد الدينية والدنيوية في المستقبل، من خلال تجديد الإيمان والثبات على الحق والصبر في مواجهات أعداء الأمة.

٣.المبحث الثاني: استشراف المستقبل بالرؤيا.

من المنافذ التي منحتها الشريعة الإسلامية للعباد، لكي يطلوا من خلالها على ما سيجري من حوادث في مستقبل الحياة، هي الرؤيا، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: ((الرُّؤْيَا الحَسَنَةُ، مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ، جُزْءٌ مِنْ سِتَّةٍ وَأَرْبَعِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ))[٢]، وأخرج البخاري في صحيحه بسنده عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: ((لَمْ يَبْقَ مِنَ النُّبُوَّةِ إِلَّا المُبَشِّرَاتُ» قَالُوا: وَمَا المُبَشِّرَاتُ؟ قَالَ: «الرُّؤْيَا الصَّالِحَةُ))[٣].

إنَّ الحديثين السابقين يدلان على أنَّ الرؤيا الحسنة هي نافذة الصالحين لاستشراف بعض حوادث المستقبل، فالرؤيا لها أهمية كبيرة في حياة الناس، وهي واقعة ضمن الحوادث الحتمية المقدرة، والرؤيا قد يراها المسلم بنفسه في منامه، أو قد ترى له من غيره، وهي قد تحمل بشارة للمسلم، كما تدل على ذلك الأحاديث السابقة، أو قد يكون فيها تنبيه وإنذار له، وفي كلا الحالتين هي استهداف للمستقبل بقصد الفائدة للعبد، فالبشارة لا يخفى نفعها في اطمئنان النفس وزيادة الإيمان واليقين، وخاصة بعد وقوعها، فهي كرامة من الكرامات الربانية للعباد، وأما الفائدة في حالة الإنذار، فهو للاستعداد لما يجري في قادم الزمان، والتحلي بالصبر، وأخذ الحيطة والحذر، ووضع الخطط لمواجهة الخطر القادم، كما فعل يوسف عليه السلام في تأويل رؤيا الملك.

وعلى هذا المعنى فيمكن تقسيم الرؤيا من حيث طبيعة الحدث المتعلق بها إلى قسمين، الأول: رؤيا تنبيه على شدة وبلاء، ولا تخرج عن كونها رؤيا صالحة، الثاني: رؤيا بشارة في حصول نعمة وزيادة

---

(١) سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، (المتوفى: ٢٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م، أبواب الفتن، رقم (٢٢٦٠).

(٢) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب التعبير، بَابُ رُؤْيَا الصَّالِحِينَ، برقم (٦٩٨٣)، وباب من رأى النبي صلى الله عليه وسلم في المنام، رقم (٦٩٩٤).

(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب التعبير، باب المبشرات، رقم (٦٩٩٠)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، عن ابن عباس، كتاب الصلاة، بَابُ النَّهْيِ عَنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ فِي الرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، رقم (٤٧٩).

بركة، وفي كلتي الحالتين قد تحتاج الرؤيا إلى تأويل لها لمعرفة تعبير رموزها، وقد لا تحتاج إلى تأويل لكونها تنبئ عن الحدث كما هو، ويمكن لي أن أذكر بعض الأشياء عن هذين القسمين.

أولا: رؤيا فيها تنبيه على حصول بلاء وشدة.

تقع للعباد شدائد في الحياة الدنيا، يمحص الله تعالى فيها إيمانهم، ويختبر طاعتهم، ويقيس صبرهم، وعلى ضوء ذلك تكون المنازل والدرجات، فعلى درجة الشدة ونتيجة العبد فيها تكون الكرامات.

ومن ذلك ما حصل لإبراهيم عليه السلام في رؤياه بذبح ولده، قال **تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾﴾ [الصافات: ١٠١-١٠٢]**، فالآيات وصفت بلاء إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بالبلاء المبين، ولا شك أنه بلاء لا يستطيع الصبر عليه إلا من كان مثل إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، ومثل ذلك ما حصل لأحد صاحبي يوسف في السجن حيث أخبره يوسف عليه السلام أنه سيصلب وتأكل الطير من رأسه.

إنَّ الحكمة الإلهية من جعل نافذة لاستشراف المستقبل بالرؤيا لمثل هذه الحوادث، هو الاستعداد للبلاء والصبر على المصيبة، بحيث لا يفاجئ العبد بمثل هذه المصائب، التي قد تذهله في حال المفاجأة، وقد يكون في مثل هذا النوع من الرؤى فرصة لبعض الناس في التوبة، ورد المظالم، والوصية، والإكثار من الذكر والعبادة، فضلا عن كون هذا الاستشراف للمستقبل فيه آيات ودلائل على قدرة الله تعالى، وارتباط وجود الكون ومصير الخلائق بإرادته سبحانه وتعالى، فهي معجزات للأنبياء، وكرامات للأولياء، وبراهين للناس على قدرة الله تعالى.

ثانيا: رؤيا فيها بشارة للعبد.

الرؤيا ارتبطت في الغالب بالبشرى والكرامة للعبد من الله تعالى، وهذه هي الرؤيا الصالحة بالمعنى الواضح، كرؤيا يوسف عليه السلام، قال تعالى: **﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾** [يوسف: ٤]، فهذه الرؤيا بشارة عظيمة استشرف من خلالها يعقوب ويوسف عليهما السلام مستقبل يوسف، وأمر يعقوب عليه السلام ابنه يوسف ألا يقص رؤياه على إخوته، فقد يدفعهم الحسد لقتله، أو تدبير أذى له، وهو ما حصل فيما بعد.

ومن البشارات العظيمة في الرؤيا، ما رآه النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم في منامه، من أنَّه يدخل مكة مع المسلمين، قال تعالى: **﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح: ٢٧]**، فكانت رؤيا رسول الله صلى الله تعالى عليه

وآله وسلم رؤيا حق، فتحقق ذلك في عمرة القضاء قبل فتح مكة، وهذه الرؤيا هي من دلائل النبوة التي ازداد المؤمنون فيها إيمانا بعد حصولها، ولا زالت هذه الحادثة ومثيلاتها تغذي القلوب بأسباب الإيمان عبر الأجيال المتعاقبة.

ومن السنة النبوية ما أخرج أحمد في مسنده بسنده عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((رَأَيْتُ كَأَنِّي فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَيْتُ بَقَرًا مُنَحَّرَةً، فَأَوَّلْتُ أَنَّ الدِّرْعَ الْحَصِينَةَ الْمَدِينَةُ، وَأَنَّ الْبَقَرَ نَفَرٌ، وَاللهِ خَيْرٌ "، قَالَ: فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ: " لَوْ أَنَّا أَقَمْنَا بِالْمَدِينَةِ فَإِنْ دَخَلُوا عَلَيْنَا فِيهَا قَاتَلْنَاهُمْ "، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَاللهِ مَا دُخِلَ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَكَيْفَ يُدْخَلُ عَلَيْنَا فِيهَا فِي الْإِسْلَامِ؟ – قَالَ عَفَّانُ فِي حَدِيثِهِ: فَقَالَ: " شَأْنَكُمْ إِذًا... الحديث))[1]، فهذا الحديث وقعت أحداثه كما رأى النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، لذلك أخرجه البيهقي في دلائل النبوة من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، فكانت هذه الآيات والأحاديث التي فيها إخبار عما سيجري في مستقبل الناس، تصب في صالح المسلمين، فتبشرهم بما سيكون من نصر وتمكين، وتُطمئن المسلمين بكون المدينة درع حصينة في وجه المشركين، ولا شك أنَّ هذا الأمر له أثر كبير في ترسيخ الإيمان في قلوب المسلمين.

وقد تحمل الرؤيا أحيانا تنبيها إلى نقاط القوة لتوظيفها، ومكامن الضعف لمعالجتها، كما في حديث جابر الأخير، فقد أراد النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يكون القتال على أطراف المدينة ومداخلها، وهذا الاختيار مبني على معطيات الرؤيا، فقد أول الدرع الحصين بأنَّها المدينة، فهو لا يخشى على المدينة من دخول المشركين، وفي نفس الوقت أراد تشتيت جيش المشركين وتقليل الخسائر في صفوف المسلمين، وكل ذلك بني على أساس المعطيات الواردة في الرؤيا، وهذا المعنى ينقلنا إلى موضوع توظيف المعطيات المتاحة في خدمة الخطط المستقبلية، وهذا ما سيكون الكلام عنه في المبحث التالي.

٤.المبحث الثالث: استشراف المستقبل بالتخطيط والعمل.

وهب الله تعالى للإنسان العقل، وخصه به من دون سائر مخلوقاته، فالعقل هو جوهرة الوجود الإنساني، وبه مناط التكليف وشرف حمل أمانة الدين، والقيام بالعبادة لرب العالمين، وقد أمر سبحانه وتعالى العباد بالأخذ بالأسباب لتحقيق المنافع ونيل الطموح، ولا يتحصل ذلك إلا بالعمل ووضع الخطط بما يخدم مصالح الإنسان الدينية والدنيوية.

وقد أعطت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية أهمية كبيرة للتخطيط المستقبلي في مناحي الحياة المختلفة، وذلك لتأمين مصالح العباد، فمن الخطط

(١) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، رقم (١٤٧٨٧).

المستقبلية في الجانب الاقتصادي ما جرى على يد نبي الله يوسف عليه السلام، حيث وضع خطة لإنقاذ الناس من القحط الذي استشرف حصوله بعد تأويله لرؤيا ملك مصر، قال تعالى حكاية عن يوسف: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [يوسف: ٤٧-٤٨]، فنبي الله يوسف عليه السلام وضع خطة اقتصادية متكاملة لمواجهة خطر السنين الشداد، بناء على استشراف المستقبل بالتأويل الصحيح لرؤيا الملك، وكانت هذه الخطة ناجحة ومحكمة، حيث تم بها إنقاذ الناس من الهلاك، بسبب السنين العجاف وقلة المؤنة.

إنَّ ما فعله نبي الله يوسف عليه السلام يتمثل في خطوتين رئيستين، الأولى: الحث على زيادة الإنتاج، وهي في قوله تعالى: ﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾ [يوسف: ٤٧]، فأمرهم بالزراعة المستمرة، والاجتهاد في الانتاج، وعدم التهاون في العمل، لتغطية العجز المتوقع في قادم السنين، قال الأزهري: دأْباً ودأَباً ودؤوباً: إِذا اجتهدتَ فِي الشَّيْء[1].

والخطوة الثانية: هي الموازنة بين الادخار والاستهلاك، لتوفير ما يلزم من طعام في المستقبل، وهذا ما تسعى لتحقيقه دول العالم اليوم جاهدة، في ظل حاجة غذائية مستمرة، وزيادة كبيرة في السكان، ويستفاد من خطة يوسف عليه السلام التخطيط لإنجاز المشاريع الزراعية، والعناية بمخازن المواد الغذائية، وإنشاء المصانع، وشق الأنهار، وخزن المياه، وغير ذلك، وقد حثت السنة النبوية على توفير مصادر المياه، من شق الأنهار، وحفر الآبار، وأمرت بالمحافظة على مصادر المياه، ونهت عن تلويثها، ونهت عن الإسراف في استعمال الماء، ورغبت في إحياء الموات من الأرض، لسد حاجة المجتمع من المواد الأساسية للحياة، وهكذا تتظافر الأدلة من الكتاب والسنة على وجوب التخطيط المتقن في هذا المجال الحيوي من مجالات الحياة، لتحقيق الأمن الغذائي للناس، وضمان مصالحهم في الحال والمآل.

وإذا كانت خطة نبي الله يوسف عليه السلام هي خطة أزمة مؤقته لإنقاذ الناس، وتفادي خطر المجاعة، فإنَّ الله تعالى وضع للناس طريقة اقتصادية دائمة النفع، فيها حكمة بالغة، ترشد الناس إلى حسن التدبير في الإنفاق، وبما يخدم مصالح العباد في الحال والمستقبل، قال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾﴾ [الإسراء: ٢٩]، فهذه الآية فيها طريقة حكيمة

(١) تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الهروي، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ج ١٤، ص ١٤٢.

لترشيد الاستهلاك، وتحذير من عواقب الإسراف في النفقة، وهي خطة عملية تصلح للفرد والمجتمع، وفيها تأمين لمعيشة الناس في حاضرهم ومستقبلهم، لذلك امتدح الله تعالى من يعمل بهذه الطريقة، لأنَّه يساهم في ضمان المستقبل، ولا يعرض نفسه أو مجتمعه لخطر الإفلاس والمجاعة، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا ٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧]، والإسراف في الآية هو المبالغة في النفقة، والإقتار عكسه وهو البخل، وكلاهما مذموم، والقوام أنْ يتوسط الإنسان في نفقته، قال الطبري: الإسراف في النفقة الذي عناه الله في هذا الموضع: ما جاوز الحدّ الذي أباحه الله لعباده إلى ما فوقه، والإقتار: ما قصر عما أمر الله به، والقوام: بين ذلك(١).

والملاحظ هنا في هذه الآية أنَّها جاءت في سياق الكلام عن العقيدة، ومصير الإنسان، وذكر أسباب النجاة، وقد ذكر الله تعالى هذه الآية في وسط تلك الآيات العظيمة، التي تحدثت عن الإيمان بالله، وصفات المؤمنين، كالتواضع والخشية والاجتهاد في العبادة، وعدم مقاربة الكبائر المهلكات، كالشرك وقتل النفس والزنى وشهادة الزور، وهذا يدل على أهمية هذه الطريقة التي رسمها القرآن الكريم، بالتوسط في الإنفاق لتأمين المستقبل الاقتصادي والمعيشي للفرد والمجتمع، لأن الفقر والإفلاس قد يدفع بعض الناس إلى الخروج عن خط الاستقامة، وارتكاب الكبائر المهلكات.

لذلك كانت صفة حسن التدبير والتوسط في النفقة بين الإسراف والبخل لضمان المنفعة في الحال والمستقبل، واحدة من أهم صفات عباد الرحمن، إلى جانب الصفات الأخرى التي ذكرتها تلك الآيات، والتي ختمت بجائزة عظيمة لمن يتصف بالصفاة التي وردت فيها، حيث قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجۡزَوۡنَ ٱلۡغُرۡفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوۡنَ فِيهَا تَحِيَّةٗ وَسَلَٰمًا ٧٥ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ٧٦﴾ [الفرقان: ٧٥-٧٦].

وفي الجانب الاجتماعي تبرز لنا أهمية التخطيط المستقبلي من خلال نصوص الكتاب والسنة لتحقيق التكافل الاجتماعي، وتعزيز الوحدة بين ابناء المجتمع الإسلامي، فيأتي نظام الزكاة والصدقات ليحقق أهدافا اقتصادية واجتماعية عظيمة، ليجعل من المجتمع أسرة واحدة كبيرة، حيث تؤخذ الزكاة من أموال الأغنياء وتعطى للفقراء، هذا فضلا عن حث الشريعة على التطوع في بذل الصدقات على المحتاجين، وهذا له أثر إيجابي في مد جسور المحبة وتقوية حبال المودة بين أبناء المجتمع.

ومن الخطط النبوية في هذا المجال، هو المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وبناء الصفة مأوى للفقراء في المسجد، والأمر بعدم إبقاء لحوم الأضاحي فوق

(١) تفسير الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م، ج ١٩، ص ٣٠٠.

ثلاثة أيام، من أجل الدافة، وكل هذه الأعمال تأتي لخدمة الناس ورعاية مصالحهم وتأمين مستقبلهم وحفظ دينهم.

ولم يقتصر استشراف المستقبل في الشريعة الإسلامية على جانب التخطيط الاقتصادي وأمور المعيشة حسب، بل تعداه إلى جوانب أخرى من الحياة كالجانب السياسي والأمني، ففي الجانب الأمني ما حصل لنبي الله يعقوب عليه السلام مع أبنائه، حيث قال الله تعالى حكاية عن نبي الله يعقوب عليه السلام: ﴿وَقَالَ يَٰبَنِيَّ لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ وَمَآ أُغۡنِي عَنكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٍۖ إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُۖ وَعَلَيۡهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ ٦٧﴾ [يوسف: ٦٧]، وقد ذهب كثير من المفسرين إلى أنَّ مبتغى يعقوب عليه السلام من تفريق أبنائه على أبواب مصر هو الخوف عليهم من الحسد، وذهب آخرون إلى أنَّ هدف يعقوب عليه السلام هو إعطاء فرصة للقاء يوسف بأخيه الشقيق بنيامين، ليخبره بأنَّه أخوه يوسف، ويخبره بخطته في ضمه إليه، وفي الحالتين تبرز لنا خطة يعقوب عليه السلام للوصول إلى هدفه، فعلى المعنى الأول تكون الخطة لدفع خطر متوقع، وعلى الثاني لتحقيق هدف فيه منفعة، وقد أخرج ابن أبي حاتم في تفسيره بسنده عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَمْرٍو، عَنْ فُضَيْلٍ، عَنْ إِبْرَاهِيمَ: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ قَالَ: عَلِمَ أَنَّهُ سَيَلْقَى إِخْوَتَهُ فِي بَعْضِ الأَبْوَابِ[1].

وقال الماتريدي: وعن الحسن – فيما أظن – في قول يعقوب لبنيه: (لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ)، قال: أما واللَّه ما كانت به طيرة تطير بها؛ ولكن قد علم أو ظن أن يوسف سيلقى أخاه؛ فيقول: إني أنا أخوك[2]، فالراجح أن خطة يعقوب عليه السلام موضوعة لإعطاء فرصة للقاء يوسف بأخيه الشقيق على انفراد من إخوته، لذلك قال تعالى: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [يوسف: ٦٨]، فيعقوب عليه السلام يعلم من شأن يوسف، من أنَّ الله سيتم نعمته عليه، ويمكن له في الأرض، فغلب على ظنه أنَّ الذي طلب قدوم شقيق يوسف هو يوسف نفسه، فأراد أنْ يلتقيه بمعزل عن إخوته ليخبره، وقد حصل ذلك حسب خطة يعقوب عليه السلام، قال **تعالى:** ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ قَالَ إِنِّيٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٦٩﴾ [يوسف: ٦٩]، فدخول إخوة

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، الرازي ابن أبي حاتم، (المتوفى: ٣٢٧هـ)، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩ هـ، رقم الحديث: (١١٧٦٩).

(٢) تفسير الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: ٣٣٣هـ)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، ج ٦، ص ٢٦٥.

يوسف على يوسف من أبواب متفرقة يقتضي وصولهم إليه في أوقات مختلفة.

وقد تكون الخطط المستقبلية لدفع مشكلة محتملة يستشرف حصولها أهل الحدس والبصيرة والحكمة الذين ينظرون في السنن الإلهية، ويتفرسون في عواقب الأمور ومآلات الحوادث، ومن ذلك استشراف الخضر عليه السلام لحدوث أخذ الملك الظالم سفينة المساكين الذين يعملون في البحر غصبا، فخرق السفينة ليحدث بها عيبا فلا يلتفت إليها الملك، قال تعلى: **{أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا} [الكهف: ٧٩]**، فقوله تعالى على لسان الخضر: **﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩]**، يدل على أنَّ الخضر وهبه الله فراسة صائبة، وبصيرة نافذة، لاستشراف ما يحصل، بالنظر إلى سنن الله تعالى في الكون والإنسان، فوضع خطته لخرق السفينة لصالح أهلها، فأحدث ضررا يسيرا ليتفادى ضررا أكبر، وقد أخرج النسائي في الكبرى بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: فَإِذَا جَاوَزُوا الْمَلِكَ رَقَعُوهَا وَانْتَفِعُوا بِهَا، وَبَقِيَتْ لَهُمْ(١).

وفي الجانب السياسي ما حصل من استشراف بلقيس ملكة سبأ لما سيجري لها ولقومها فيما لو أنها خالفت أمر نبي الله سليمان عليه السلام، فوضعت خطة للنأي بمملكتها عن خطر دخول جيش نبي الله سليمان عليه السلام إلى مملكة سبأ، قال تعالى: **﴿قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل: ٣٤-٣٥]**، هكذا كانت خطة بلقيس أنْ تتصرف بحكمة، وترسل بهدية إلى سليمان عليه السلام، لتدفع خطر الحرب عن قومها، قال محمد الطاهر بن عاشور: فَعَلِمَتْ بِقِيَاسِ شَوَاهِدِ التَّارِيخِ وَبِخِبْرَةِ طَبَائِعِ الْمُلُوكِ إِذَا تَصَرَّفُوا فِي مَمْلَكَةِ غَيْرِهِمْ أَنْ يَقْلِبُوا نِظَامَهَا إِلَى مَا يُسَايِرُ مَصَالِحَهُمْ(٢).

ولما رفض نبي الله سليمان عليه السلام الهدية أدركت أنَّها أمام جيش يقوده نبي من أنبياء الله، ولا قبل لها ولجيشها بمواجهته، واستشرفت سوء العاقبة، فجاءت طائعة وإن لم تسلم بعد، بخلاف المتعنتين من المشركين فإنَّهم لم يدركوا السنن الإلهية في الكون

(١) السنن الكبرى، النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م ، رقم (١١٢٤٣).

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ ه، ج ١٩، ص ٢٦٥.

والإنسان، فحاربوا الله ورسوله، فخسروا الدنيا والآخرة، وكذلك يحصل من حال الظالمين في كل مصر وعصر.

ومن السنة النبوية في استشراف المستقبل في هذا الجانب، ما جاء في بعض الروايات من أنَّ رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، إذا أراد أن يغزوا كتم الخبر وورى بغير وجهته، فقد أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنِ الزُّهْرِيِّ، قَالَ: أَخْبَرَنِي عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَمِعْتُ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ: ((كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَلَّمَا يُرِيدُ غَزْوَةً يَغْزُوهَا إِلَّا وَرَّى بِغَيْرِهَا، حَتَّى كَانَتْ غَزْوَةُ تَبُوكَ، فَغَزَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي حَرٍّ شَدِيدٍ، وَاسْتَقْبَلَ سَفَرًا بَعِيدًا وَمَفَازًا، وَاسْتَقْبَلَ غَزْوَ عَدُوٍّ كَثِيرٍ، فَجَلَّى لِلْمُسْلِمِينَ أَمْرَهُمْ، لِيَتَأَهَّبُوا أُهْبَةَ عَدُوِّهِمْ، وَأَخْبَرَهُمْ بِوَجْهِهِ الَّذِي يُرِيدُ))[1].

فهذا الحديث فيه دليلان على التخطيط لاستقبال ما سيكون من حوادث، والتهيؤ لها، الأول: هو أنَّ النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا أراد أنْ يغزوا كتم وجهته وربما ورى بغيرها، لكي لا يصل الخبر إلى المشركين في حال الإعلان عن مسيره ومقصده، وفي هذا استباق الأمور على حساب العدو، ليكسب عنصر المفاجأة، ولا يدع فرصة للعدو في الاستعداد لمواجهة المسلمين، فتجري الأمور لصالح المسلمين، كما حصل في فتح مكة.

والثاني: هو ما جرى في هذه الغزوة المذكورة في الحديث الأخير، من إعلان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن مسيره ووجهته، بخلاف المعتاد، وذلك لكون الظروف في هذه الغزوة مختلفة عن معظم الغزوات الأخرى، فالمسافة بعيدة، والمؤنة قليلة، والخطر فيها أشد من غيرها، فلا بد من الإفصاح عن الوجهة ليتهيأ الناس، ويجتهدوا في استعدادهم لهذا المسير الشاق، وجمع ما يلزم من سلاح ودروع ومؤنة، فيتضح من هذا الحديث وأمثاله أنَّ لكل حالة معينة خطة تناسبها، يُستبق بها الحوادث المستقبلية، إما لكسب منفعة وضمان مصلحة في قادم الأيام، أو دفع ضرر ودرء خطر محتمل الحصول.

٥.المبحث الرابع: حرمة الكذب في استشراف المستقبل.

حرمت الشريعة الإسلامية الكذب في استشراف المستقبل أشد التحريم، واعتبرت ادعاء معرفة ما يجري من حوادث مستقبلية دجلا يورد صاحبه في المهالك، وذلك لأنَّ أخبار المستقبل من علم الغيب الذي استأثر به الله تعالى لنفسه، إلا ما أوحى الله

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب الجهاد والسير، بَابُ مَنْ أَرَادَ غَزْوَةً فَوَرَّى بِغَيْرِهَا، وَمَنْ أَحَبَّ الخُرُوجَ يَوْمَ الخَمِيسِ، رقم (٢٩٤٧) و(٢٩٤٨)، وصحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، كتاب التوبة، بَابُ حَدِيثِ تَوْبَةِ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ، رقم (٢٧٦٩).

تعالى به لأنبيائه من تلك الأخبار، أو ما أكرم به أولياءه من الرؤيا الحسنة، والتي هي بشارات حسب، قال تعالى ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل: ٦٥]، وقال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧]، لذلك بينت الشريعة كثيرا من الطرق غير الشرعية في ادعاء معرفة المستقبل، وحذرت من ممارستها كالسحر والكهانة والعرافة والتنجيم وشبه ذلك.

فالكاهن كان يعتمد على الأخبار التي تأتي بها الجن من استراق السمع، وقد منعهم الله تعالى عن ذلك عندما بعث رسوله محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، وتم سد هذا الطريق، قال تعالى: {إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ} [الشعراء: ٢١٢]، وقال تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ: ١٤]، ولما كانت الكهانة في أصلها كذب وافتراء وتزوير للحقائق، وتعمل على إفساد المعتقدات، لذلك غلظت الشريعة الإسلامية في الحكم على الكاهن، وذلك لتنفير الناس عن الكهان، وليكون حكم الشريعة في الكهانة رادعا لمثل هذه الأعمال التي تشكل خطرا على الفرد والمجتمع، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: ٢٨-٢٩]، فالآية ذكرت الكاهن بصيغة الذم، وقرنته بالمجنون للدلالة على عدم صدق الكاهن بدعواه، وأخرج أحمد في مسنده بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَالْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " مَنْ أَتَى كَاهِنًا، أَوْ عَرَّافًا، فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ، فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ"(١)، فإذا كان حكم الكفر قد لحق بمن يُصدق الكاهن، فإنَّه في الكاهن أكثر دلالة، لأن الكاهن هو من يقوم بالكذب وادعاء الغيب، الذي هو من حق الله تعالى.

قال ابن الجوزي: قَالَ أَبُو سُلَيْمَان: العراف: الَّذِي يتعاطى معرفَة الشَّيْء الْمَسْرُوق وَمَكَان الضَّالة وَنَحْو ذَلِك، والكاهن يتعاطى علم مَا يكون فِي مُسْتَقْبل الزَّمَان، وَيَدعِي معرفَة الْأَسْرَار(٢).

وكذلك شددت الشريعة الإسلامية في تحريم الكذب في الرؤيا، لأنَّه ادعاء حصول حادث في المستقبل، فهو كذب على الله، فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن وَاثِلَةَ بْن الأَسْقَعِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «((نَّ مِنْ أَعْظَمِ الفِرَى أَنْ يَدَّعِيَ الرَّجُلُ إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ يُرِيَ عَيْنَهُ

(١) المسند، أحمد بن محمد بن حنبل، رقم (٩٥٣٦).

(٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن – الرياض ، ج ٤، ص ٤٢٩.

مَا لَمْ تَرَ، أَوْ يَقُولُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا لَمْ يَقُلْ))[١]. والملاحظ هنا أنَّ الحديث وصف هذا النوع من الكذب بأنَّه من أعظم الفرى، وقرنه بالكذب على رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم.

قال ابن حجر: أَفْرَى أَفْعَلُ تَفْضِيلٍ أَيْ أَعْظَمُ الْكِذْبَاتِ وَالْفِرَى بِكَسْرِ الْفَاء وَالْقصر جمع فِرْيَة قَالَ بن بَطَّالٍ الْفِرْيَةُ الْكِذْبَةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي يُتَعَجَّبُ مِنْهَا[٢].

وقال العيني: إِن كذبه فِي الْمَنَام لَا يزِيد على كذبه فِي الْيَقَظَة، فَلم زَادَت عُقُوبَته؟ قلت: لِأَن الرُّؤْيَا جُزْء من النُّبُوَّة والنبوة لَا تكون إلاَّ وَحيا، والكاذب فِي الرُّؤْيَا يَدعِي أَن الله أرَاهُ مَا لم يره وَأَعْطَاهُ جُزْءا من النُّبُوَّة وَلم يُعْطه، والكاذب على الله أعظم فِرْيَة مِمَّن كذب على غَيره[٣].

ومن حرص الشريعة الإسلامية على عقيدة المسلمين، فقد حرمت ما دون الكهانة بكثير، وهي الطيرة، كما أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما بسنديهما عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: ((لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ))[٤]، قال الخطابي: وذلك أن العرب كانت تتشاءم ببروح الطير إذا كانوا في سفر أو مسير، ومنهم من كان يتطير بسنوحها فيصدهم ذلك عن المسير ويردهم عن بلوغ ما يمموه من مقاصدهم فأبطل صلى الله عليه وسلم أن يكون لشيء منها تأثير في اجتلاب ضرر أو نفع[٥]، ومثلما كان الناس يتطيرون من خلال زجر الطير، كذلك كانوا يتطيرون بالأزلام التي يستقسمون بها، فإن خرج افعل مضى لطريقه وإن خرج لا تفعل ترك الذهاب، فأبطلها الله تعالى، قال القرطبي في قوله تعالى ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣]، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ التَّكَهُّنِ وَالتَّعَرُّضِ لِدَعْوَى عِلْمِ الْغَيْبِ[٦].

---

(١) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب التعبير، بَابُ مَنْ كَذَبَ فِي حُلُمِهِ، رقم (٧٠٤٣)، والحديث روي عن ابن عمر عند البخاري وغيره.

(٢) فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر، أبو الفضل العسقلاني الشافعي، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩، ج ١٢، ص ٤٣٠.

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، العينى، محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت ، بدر الدين العيني، ج ١٦، ص ٨٠.

(٤) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله، كتاب الطب، بَابُ الفَأْلِ، رقم (٥٧٥٦)، وبَابُ لاَ عَدْوَى، رقم (٥٧٧٦)، وصحيح مسلم مسلم بن الحجاج، كتاب السلام، بَابُ الطِّيَرَةِ وَالْفَأْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الشُّؤْمِ، برقم (٢٢٢٤).

(٥) معالم السنن، الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي (المتوفى: ٣٨٨هـ)، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م، ج ٤، ص ٢٣٥.

(٦) تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر:

وقد كان النهي عن الطيرة بسبب ما فيها من توقع حدوث مكروه في المستقبل، من دون وجود أي سبب علمي أو عقلي لحصوله، أو من دون النظر في السنن الإلهية في الكون والإنسان، والطيرة بهذا تكون في حيز استشراف للمستقبل من غير النوافذ الشرعية التي منحتها الشريعة الإسلامية للعباد، وسمحت للتخطيط لها، لذلك فهي تعد خللا في عقيدة المسلم، والطيرة بهذا المعنى تؤدي دورا سلبيا في المجتمع والحياة، لأنَّها تعمل على الإحجام عن الأعمال المفيدة والنافعة، من دون سبب حقيقي.

نتائج البحث:

بعد هذه الجولة في رحاب الشريعة الإسلامية حول موضوع استشراف المستقبل، يمكن لي أن أسجل النتائج التالية:

أولا: اهتمت الشريعة الإسلامية بتحقيق مصالح الناس الدينية والدنيوية في حاضرهم ومستقبلهم، وحثت على الاستفادة من تجارب الماضي وإمكانات الحاضر، وتوظيفها في خدمة الناس لتحقيق المنافع لهم في مستقبل حياتهم.

ثانيا: استهدفت الشريعة الإسلامية مستقبل الناس بجملة من الأخبار الغيبية التي جزمت بوقوعها في قادم الزمان، لتحقيق عدد من الأهداف المستقبلية، منها: تجديد إيمان الناس من خلال تحقق وقوع هذه الأخبار، وترسيخ يقينهم بالله تعالى وبرسوله محمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم، ومنها: معرفة جانب الحق في حوادث المستقبل، والانحياز للحق، وعدم الانجراف في الفتن التي ستقع في المستقبل من الزمان، ومنها: الاستعداد لهذه الحوادث والصبر على البلاء والثبات على الدين، وكل ذلك يأتي لضمان مستقبل الناس من خلال الحفاظ على إيمانهم وتحقيق مصالحهم الدينية والدنيوية.

ثالثا: وهبت الشريعة الإسلامية بشارات لعباد الله الصالحين، وهي الرؤيا الحسنة، حيث يتم من خلالها استشراف بعض حوادث المستقبل الخاصة والعامة، لتكون الرؤيا الصالحة عونا للعباد على تثبيت قلوبهم وتقوية إيمانهم، وكرامة لهم بما قدموا من أعمال في مرضات الله تعالى.

رابعا: أولت الشريعة الإسلامية من خلال نصوص الكتاب والسنة النبوية أهمية كبيرة للتخطيط المستقبلي في مناحي الحياة المختلفة، الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والأمنية، وذلك لتأمين مصالح العباد الدينية والدنيوية، فأباحت الشريعة الإسلامية للعباد التخطيط للمستقبل لجلب المنافع، أو دفع المخاطر المحتملة، وذلك من خلال حث العباد على إعمال العقل وتفعيل الفكر في النظر في سنن الله تعالى في الكون والإنسان، وتوظيف حوادث الماضي ومعطيات الحاضر لضمان الانتفاع منها في المستقبل.

دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م ، ج ٦، ص ٥٩.

خامسا: حرمت الشريعة الإسلامية الكذب في استشراف المستقبل أشد التحريم، واعتبرت ادعاء معرفة ما يجري من حوادث مستقبلية دجلا يورد صاحبه المهالك، وذلك لأنَّ أخبار المستقبل من علم الغيب الذي استأثر الله تعالى به لنفسه، إلا ما أوحى الله تعالى به لأنبيائه من تلك الأخبار.

مصادر البحث:

– القرآن الكريم.

– ابن أبي حاتم، أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي، الحنظلي، (المتوفى: ٣٢٧هـ)، تفسير القرآن العظيم، المحقق: أسعد محمد الطيب، الناشر: مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثالثة – ١٤١٩هـ.

– ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد (المتوفى: ٥٩٧هـ)، كشف المشكل من حديث الصحيحين، المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن الرياض.

– ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، الناشر دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب.

– البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

– أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق شعيب الأرنؤوط عادل مرشد، وآخرون، إشراف د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ ،٢٠٠١ م.

– الترمذي، محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، الجامع الكبير = سنن الترمذي، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت.

– الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المعروف (المتوفى: ٣٨٨هـ)، معالم السنن، الناشر: المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: الأولى ١٣٥١ هـ – ١٩٣٢ م.

– الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المعجم الأوسط، المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، الناشر: دار الحرمين – القاهرة.

– الطبري، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (المتوفى: ٣١٠هـ)، جامع

البيان في تأويل القرآن، المحقق: أحمد محمد شاكر، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠ م.

– العينى، أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابى الحنفى بدر الدين (المتوفى: ٨٥٥هـ)، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م.

– الماتريدي، محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور (المتوفى: ٣٣٣هـ)، تفسير الماتريدي (تأويلات أهل السنة)، المحقق: د. مجدي باسلوم، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م، عدد الأجزاء: ١٠.

– محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى : ١٣٩٣هـ)، التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ.

– مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

– النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفى: ٣٠٣هـ)، السنن الكبرى، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م.

– الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور (المتوفى: ٣٧٠هـ)، تهذيب اللغة، المحقق: محمد عوض مرعب، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.

– الواحدي، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي ، النيسابوري، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبد الرحمن عويس، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحي الفرماوي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤م.

– يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة، التيمي بالولاء، من تيم ربيعة، البصري ثم الإفريقي القيرواني (المتوفى: ٢٠٠هـ)، تفسير يحيى بن سلام، تقديم وتحقيق:

الدكتورة هند شلبي، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٥ هـ – ٢٠٠٤م.